

## السياسة وإدارة التطرف - شارل ديغول أنموذجا -

د.داعي محمد<sup>1</sup>

### ملخص :

منذ اعتلى شارل ديغول الحكم بفرنسا الجمهورية الخامسة كان شغله الشاغل القضية الجزائرية، محاولا منذ الوهلة الأولى القضاء على الثورة الجزائرية، مستعملا شتى الطرق ومنها على الخصوص مجابقتها بالقوة، لكنه و مع مرور الوقت اكتشف بأن العنف المستعمل زاد من تجذر الثورة و نجاحها خاصة بعدما أن سعى لإيجاد الشعب عنها لأنه اكتشف سر قوتها يكمن في التفاف وتضامن الجزائريين وحتى بعض الاوربيين، وعليه اجتهد وبحنكته المحافظة على التواجد الفرنسي بالجزائر أساسا للمصالح، لذلك ماطل وتناور انطلاقا من اضعاف قوة الثورة والمناورة على شتى القضايا والملفات، ومنها ما مس الكولون و بعض جنرالات الجيش الفرنسي و هو ما فتح المجال لتناسي والتطرف لديهم.

### الكلمات المفتاحية:

شارل ديغول، الجزائر فرنسية، الكولون، المناورات، تنامي التطرف و الإرهاب.

### Summary :

Since his accession to power in France, the Fifth Republic, his preoccupation has been the Algerian issue, attempts, from the very beginning, to eliminate the Algerian revolution, using various methods, including in particular, confronting it with force, but over time he discovered that the violence used increased the roots of the revolution and its success, especially after That he sought to find the people about it because he discovered the secret of its strength lies in the rallying and solidarity of Algerians and even some Europeans. Including what touched the Colonel and some generals of the French army, which opened the way for forgetting and extremism in them.

**key words:** Charles de Gaulle, Algeria, French, the colon, the maneuvers, the rise of extremism and terrorism

<sup>1</sup> أستاذ محاضر جامعة سعيدة

## مقدمة:

راقب الجنرال شارل ديغول وعن كتب ما تعيشه فرنسا في ظل سياسة الجمهورية الرابعة، تيقن من قرب افلاس وانهيار الحكومات المتعاقبة عليها حتى ان عرض عليه المنصب بعد ما عاشته الجزائر في ظل احداث 13 ماي 1958.

ناور حتى يرجع من مركز قوة وكرئيس حكومة ثم انتخابات رئاسية وبعث الجمهورية الخامسة، وفي ظل أيام قليلة زار الجزائر لمعرفة انها تعد من أمهات المشاكل لفرنسا. تبنى خططا كثيرة لإخمادها انطلاقا من إعطائه لجنرالات الجيش كل الحرية في التصدي للثورة بما يعرف حرب الإبادة، وموازية مع ذلك تبنى سياسات وخطوات مشروع قسنطينة سلم الشجعان لكنه وبعد كل هذا استيقن بصعوبة المهمة امام مطالب المتطرفين من الكولون وحتى من بعض قادة الجيش.

لذلك اصبح يناور ويماطل في التسريع بالقضية الجزائرية نحو التفاوض الجدي الا بعدما ان استهدفته الخلايا المتطرفة بالجزائر وحتى فرنسا بالقتل، تثاقله في معالجة القضية الجزائرية وفق ما تقتضيه مصلحة فرنسا بإبقاء الجزائر فرنسية خاضعة لها بطريقة او أخرى، منا وراته وتماطله اذكى وزاد في همجية وغطرسة الكولون بما فيهم بعض قادة الجيش معا زاد في التطرف الاعمى خاصة بعدما ان اصبح الجنرال ديغول يتخذ إجراءات ضدهم سواء في التغييرات التي مست قادة الجيش مثل الجنرال جاك ماسو وحت تكتلات الأوروبيين السرية من خلال تلك الجمعيات مثل جبهة الجزائر فرنسية...ضف الى جنونهم الاعمى لما اقترفوه من اعمال إجرامية لكل من وقف ضد أهدافهم.

كثيرا ما كانت خطوات شارل ديغول نحو القضية الجزائرية متثاقلة رغم أنه كان يعلم أنها من أمهات القضايا التي تعاني منها فرنسا ، لكنه اعتمد هذا الأسلوب في معالجة هذه القضية ، وفق ما تقتضيه المصلحة الفرنسية بإبقاء الجزائر خاضعة لفرنسا بطريقة أو بأخرى ، هذا المنهج كثيرا ما كان مغذيا في تناسي الفكر التطرفي، إجراءاته البطيئة أعطت التيار اليميني المتطرف الفرصة في تنظيم نفسه تنظيما محكما، و لو أنه تعمد ذلك وهو ما نستخلصه من خلال مذكراته إذ يقول : " ... بحيث ستبقى الجزائر فرنسية من عدة أوجه ، و تحافظ على الطابع الذي اكتسبته ، هذه إستراتيجيتي في السياسة التي أريد أن أنتهجها ، أما الخطة الواجب إتباعها ، فكانت تقضي أن أسير بحذر و على مراحل متعددة و سأنتهز تدريجيا كل هزة مناسبة لأخطو

خطوة إلى الأمام و سأل على تيار قوي من الموافقة لإنجاز كل شي ...و كان يقضي الواجب أن ألجا إلى المناورة ..."<sup>1</sup>

و منه يتضح أن سياسته تميزت بالغموض و المناورة إلى حد بعيد ، كله من أجل تحقيق الأهداف التي كان يصبو إليها ، حتى و من أجل رجوعه للسلطة اتخذ هذا المسلك بشكل سمح له العودة بقوة و نفوذ و تأثير كبير على السياسة الفرنسية ، إذ يقول: "... و مع ذلك كان يترتب علي أن أحدد متى سأضع حدا للآمال الغائبة و أباشر مسؤولياتي ، فهل كان الأجدى التدخل فورا لكي أقضي في المهد على الفاجعة المتوقع حدوثها على أن أتعرض فيما بعد للمناقشة و المشاكسة من قبل بعض الذين ساورهم الاطمئنان ، أم أنتظر على النقيض من ذلك أن تزداد الأحداث عنفا كيما يضمن لي الذعر و الإرهاب موافقة دائمة و مستمرة..."<sup>2</sup>

لهذا سعى و بكل قوة و من خلال إجراءاته أن تصب حوله في هذا المسعى و في جو من التسامح و غرض النظر إلى حد بعيد اتجاه المستوطنين الأوروبيين ، مانحا إياهم ميدان فسيحا لتنامي التطرف والإرهاب.

فبزيارته للجزائر واستقباله من قبل لجنة الإنقاذ أو الخلاص العام المتكونة من أشد الناس تمسكا " بالجزائر فرنسية " إذ أنه وبتاريخ 4 جوان 1958 نجح في جولته الأولى للجزائر، استقبل استقبالاً حاراً و هو ممتطي لسيارة مكشوفة من المطار حتى تمثال الأموات و منه إلى قصر الصيف حيث قد دله الجنرال " جاك ماسو" أعضاء لجنة الخلاص الوطني ، أنصار " الجزائر فرنسية " و المتكونة من أطراف متعددة مهناً إياهم مصرحاً أنه سيتم منح منصب وزير للجزائر للجنرال " رؤول سالان " بما في ذلك تكليف زميله " جاك سوستيل " بمنصب يليق بمقامه<sup>3</sup>

عودته وما اكتنفها عند المستوطنين من إحساس برجوع الأمل والطمأنينة، حيث كانوا أكثر الناس فرحاً به، وما انفكوا أن شعروا بإمكانية القضاء على الثورة خصوصاً وأن الجنرال ديغول لم يخيب ظنهم، حيث وضع مع بداية خطواته الأولى نصب عينيه مواصلة الحرب دون تردد بتطبيق سياسة اقتصادية حربية ملوفاً على الدول والأمم بمن تريد صداقة فرنسا و مودتها أن تكون مساندة للسياسة الفرنسية بالجزائر، مهدداً كل دولة تمد يد العون للثورة أو اعترافاً بجمبهة

شارل ديغول ، مذكرات الامل، ترجمة سموحي فوق العادة منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى،1971، ص : 55

نفسه، ص : 25

Jean Jacques Jordi et Guy Pervillé , alger 1940-1962 une ville en guerre. Mémoire n52, p : 189

التحرير الوطني، مغريا إياهم بالثورات الموجودة بصحراء الجزائر واعدا إياهم بفائدتها واستغلالها<sup>1</sup> خطوة كبيرة تصب في خدمة المستوطنين.

خطابه التاريخي من على شرفة قصر الحكومة و الذي اكتنفه الغموض " لقد فهمتكم" مشيرا إلى فتح أبواب المصالحة والسعي إلى المساواة بين جميع السكان دون تمييز بنفس الحقوق و الواجبات ، بما في ذلك تقرير مصيرهم بأنفسهم وهو ما يبرز استبعاده عن فكرة الدمج و انتهاج سياسة قائمة على خلق كيان جزائري جديد متعاون مع فرنسا على أنه تجنب الحديث عن " الجزائر فرنسية " مكتفيا بالقول " تعيش الجمهورية، تعيش فرنسا " <sup>2</sup>

و هو ما ترك الجنرال " رؤول سالان " أن يستنتج من خطابه هذا وسكوته عن الإعلان

" بالجزائر فرنسية " في طريق المزيد من التنازل صوب الجزائر مستقلة. <sup>3</sup>

محاولته التوفيق بين الأقلية المتكونة من الأقدام السود، المستوطنين والقوات العسكرية الفرنسية بالجزائر، والأغلبية من المسلمين الجزائريين في خطابه الأول من نوعه بالجزائر، إذ رفض رفضا قاطعا من قبل قيادة جبهة التحرير الوطني، و بحذر تملك المستوطنون الذين أصبحوا أكثر تمسكا بشعار " الجزائر فرنسية " <sup>4</sup>

فالجزائريون ردهم كان واضحا وقويا جازما مسكنا كل من توهم يوما أن تصبح الجزائر فرنسية على لسان رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فرحات عباس: " أفضل على أن نكون عشرة ملايين من الجثث على أن نكون عشرة ملايين من الفرنسيين " . <sup>5</sup>

أما المستوطنون تمنوا سماعه منه في حين أنه كان مدركا صعوبة تطبيق و تجسيد فكرة الدمج حتى و لو وافق المسلمون الجزائريون عليها، بما فيها من عبء مالي لا يمكن لفرنسا تحمله، و متابعة هذا المسار ستؤدي إلى حرب طويلة الأمد، خاصة و أن جبهة التحرير الوطني سلكت نهج الاستقلال التام بعدما نشأت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية . <sup>6</sup>

١- عمار قليل ، ملحمة الجزائر الجديدة، ط:1 ج:02 دار البعث قسنطينة، الجزائر 1991 ص،ص : 138 – 139

٢ - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية الى النهاية 1962، ط:1 ، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1997 ص :

٣ - Jean Touchard , Le gaullisme 1940 – 1962 , Edition du Seuil , paris , 1978 , p.p : 169 -170

٤ - عبد المجيد عمراني ، جان بول سارتر و الثورة الجزائرية ، مكتبة مدبولي ، بدون تاريخ ، ص : 122

٥ - برنارد ليدويدج ، ديفول ما له وما عليه، ترجمة سميح السيد ،دار طلاس،1985، ص : 215

٦ - المجاهد ، العدد 25 ، بتاريخ 14 جوان 1958 ، ص : 5

إجراؤه لاستفتاء 28 سبتمبر 1958 و الذي أراد من خلال نجاحه فيه تثبيت فكرة بقاء الجزائر فرنسية تحت ضغط كبير مارسته السلطة العسكرية الفرنسية على الجزائريين و هو ما ثبت بشهادة مراسلي وكالات الأنباء الأجنبية منهم الصحفي الأمريكي " ألم ستينستول " الذي كتب بعد عودته قبل الانتخابات: " إن غالبية الفرنسيين يصوتون على الدستور الجديد، أما الجزائريون فيقاطعون الاستفتاء إلا إذا تمكنت فرنسا من حشد قوات كبيرة في المدن تعادل قواتها في البوادي " <sup>1</sup>

إلا أن الكولون أعطى لهم ضمانا وارتياحا حتى أن غالبيتهم أقبلوا على التصويت، يفسره المؤلف " جون توشار ": " إقبال على هذا الاستفتاء ظنا منهم أنه يقاسمهم نفس الشعور و الطموح " <sup>2</sup>

قراره في 19 سبتمبر 1958 بنقل الجنرال " رؤول سالان " إلى باريس و تعيينه حاكما لمدينة باريس وضواحيها و هو الذي كان يشغل منصب قائد القوات الفرنسية في الجزائر و القائم بأعمال الحاكم العام، أربك المستوطنين إلى حد بعيد لكن استبدله بمن هو من أنصار إبقاء " الجزائر فرنسية " تعيين " موريس شال " خلفا له و المقبول لدى الأوروبيين بالجزائر و حتى من قبل قادة الجيش كقائد عام للقوات المسلحة العسكرية في الجزائر إلى جانب " بول ديولفري " كمنسوب عام للحكومة الفرنسية في الجزائر <sup>3</sup>

غضه النظر عما تقوم به وحدات الدفاع الإقليمية من تجاوزات و استفزازات و عدم حله لها رغم أنها " منظمة شبيهة بالجيش أحدثت عام 1954 غالبية منتسبيها من المستوطنين المتطرفين و التي كان أعضاؤها مدججين بالأسلحة " <sup>4</sup>

بالمقابل و بتاريخ 14 أكتوبر 1958 دعى شارل ديغول كل العاملين في القطاع الحكومي مع ضباط الجيش الفرنسي العاملين بالجزائر الخروج و الابتعاد بسرعة عن " لجنة الإنقاذ العموم " <sup>5</sup>

دون أن تكون له اجراءات حازمة منها و هو يعلم أنها من الجناح الفاعل في أحداث 13 ماي 1958 و أن أعضائها من أشد الأجنحة تطرفا و تمسكا بالجزائر.

١ - المجاهد ، العدد 79 ، بتاريخ 10 أكتوبر 1960 ، ص : 6

٢ - Jean Touchard , op. , cit., p : 173

٣ - Ferhat Abbés , Autopsie d'une guerre , Edition Garnier frères , paris , 1980 , p : 251

٤ - شارل ديغول ، مصدر سابق ، ص : 90

٥ - Jean Touchard , op. , cit., p : 174

إبقاءه على الجنرال " شال موريس " القائد العام للقوات المسلحة بالجزائر رغم السخط الذي أبداه مع تلويحه باحتمال انفجار الموقف إلى جانب تلميحه في رغبته للإحالة على التقاعد عندما أبلغه الجنرال "شارل ديغول " بالإجراءات المتخذة ضد الجنرال " جاك ماسو " نقله إلى باريس على إثر ما صرح به هذا الأخير للجريدة الألمانية مبديا امتعاضه و معارضته لسياسة الجنرال ديغول<sup>1</sup>

تناقضاته في الكثير من التصريحات و حتى الخطابات التي أداها فمرة يتحدث مع نائب تقدمي بلغة تصفية الاستعمار ليستعمل بعد ذلك لغة " الحضور العسكري الفرنسي " مع نائب متطرف كله أمل في أن يحصل على تأييد الجانبين في آن واحد ليقوم بتنفيذ سياسة عرجاء لا يرضى عنها أحد الجانبين<sup>2</sup>

تماطله في إطالة عمر الأزمة رغم معرفته أنها ليست الحل عبر عدة إجراءات منها عرض مشروع قسنطينة و الذي أراد من خلاله فصل الشعب عن الثورة ، مشروع سيكلف الكثير من الأموال و التي فرنسا في حاجة ماسة لها و هو الذي يعترف و من خلال ما جاء في مذكراته قوله : " و بما أنني توليت القص ، و جبت علي الخياطة ، و في قصر ماثينيون حيث أقيم هاجمتني قضايا الساعة : الجزائر ، الشؤون المالية و النقدية و القضايا الخارجية ... " <sup>3</sup>

ذلك ما يفسر على أنه كان على يقين من أن إمكانية فرنسا لا تسمح بذلك ، لكنه و رغم ذلك اتخذه كمسلك نزولا عند طموح المستوطنين ، رغم أنهم تساءلوا عن أين سيحصل ديغول عن هذه الأراضي و الأموال و الأهالي بل و حتى ما الفائدة من صرفها ، إلا أنه كان يرى النجاح في تنفيذه يمكن استغلاله في تغذية و تدعيم القوة الثالثة التي يسعى الجنرال لتكوينها و إبرازها كطرف فاعل .<sup>4</sup>

تلاه ببناء وجهه بتاريخ 23 أكتوبر 1958 إلى قادة الثورة و مجاهدي جيش التحرير و الذي أطلق عليه اسم سلم الشجعان<sup>5</sup> ، عبارة وضعت المعسكرين المتحاربين على قدم المساواة المعنوية ، ثم أوضح أنه مستعد للتفاوض حول وقف إطلاق النار مع ممثلي الثوار في القاهرة لكن لا مجال للحديث عن الاستغلال ، عرضه أشبه بطلب الاستسلام مع بقاء الجزائر في أحضان

<sup>1</sup> - شارل ديغول ، مصدر سابق، ص : 90

<sup>2</sup> - المجاهد ، العدد 94 ، بتاريخ 24 أبريل 1961 ، ص : 4

<sup>3</sup> - شارل ديغول ، مصدر سابق ، ص : 38

<sup>4</sup> - محمد الميلي ، مواقف جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984، ص : 208

<sup>5</sup> - Jean Touchard , op. , cit. , p : 174

التبعية الفرنسية .<sup>1</sup> و هو ما صرح به قائلا : " أقول متوجها إلى الذين يطيلون أمد الحرب ، لماذا القتل ؟ يجب أن نعيش لماذا التهديم ؟ يجب أن نشيد ، أوقفوا هذه المعارك و ستجدون السجون تفرغ و الأمل يزدهر و المستقبل يفتح للجميع " .<sup>2</sup>

موقفه من بعض القادة العسكريين خاصة و أنه عايش مواقفهما و فرنسا تعيش فترة عصيبة من تاريخها ممثلين في شخصية الجنرال " دي بولارديير " و الجنرال " فور " اللذان كانا يوجدان معه في لندن سنة 1940 ، حيث أن الجنرال " فور " دخل إلى فرنسا منضما إلى نظام "فيشي " بينما بقي الجنرال " دي بو لارديير " محاربا إلى أن دخل إلى بلاده مظفرا ، لكن مع عودة الجنرال ديغول عين الجنرال "فور" من جديد قائدا بالجزائر بالرغم مما تميز به من تطرف و بعضد للنظام الجمهوري حتى أنه حاول تنظيم انقلاب ضد نظام الحكم سنة 1957 ، أما الجنرال " دي بو لارديير " مكث ينتظر حتى اضطر للطلب من ديغول قيادة إلى الجزائر ، فوعده و عدا غامضا ليعينه في ألمانيا بالرغم من أنه كان وفيا للتقاليد العسكرية مطبقا للحرب حسب قوانينها .<sup>3</sup>

تصريحاته المتناقضة سواء أمام ضباط الجيش و حتى مع ضباط الصف و الجنود : " إن فرنسا لا يمكن أن تخرج و من واجبها البقاء في الجزائر و ستبقى " ثم و بمنطقة الميلية و جيجل يعلن و من خلال فكرة وضع المتمردین السلاح صرح : " لا يمكن أن نفعل شيئا إذا ما لم يتجسد أي شيء في الميدان " .<sup>4</sup>

وذلك ما روجت له الصحف الاستعمارية حيث كتبت جريدة " وهران الجمهورية " : " الجنرال ديغول ينهي زيارته التفقدية من تلمسان باستقبال حار معلنا استقلال الجزائر ، مستحيل حسب ظني فإن الجزائريين سيقولون الجزائر جزائرية مرتبطة مع فرنسا " و بنفس العدد و ضمن تحليل ما صرح به الجنرال ديغول كتب أكبر الاستعماريين " مارتل " تصريحاته لن تتجسد إلا بعد سنوات بعدما يضع المسلحين المتمردین سلاحه .<sup>5</sup>

كان هذا التشبيه الذي لاقتة هذه الفئة من المستوطنين إلا أنهم أظهروا معارضة شرسة من أجل قطع أي فكرة تؤدي إلى فقدان مصالحهم حيث تأسست " الحركة من أجل مجتمع حر " و

<sup>1</sup> - برنارد ليدويدج ، مرجع سابق ، ص : 242

<sup>2</sup> - المجاهد ، العدد 106 ، بتاريخ 9 أكتوبر 1961 ، ص - ص : 6 - 7

<sup>3</sup> - المجاهد ، نفسه بالعدد والمصدر ، ص : 8

<sup>4</sup> - Oran Républicain ، N° 7567 ، Vendredi 4 Mars 1960 ، p : 1

<sup>5</sup> - Oran Républicain ، N° 7569 ، Dimanche 7 Mars 1960 ، p-p : 1-3

التي رفعت شعار " من أجل تعايش المسلمين والأوروبيين في الجزائر " أسسه " روبر شومان أنتوان بيناي" والتي رفضت كل تصريحات الجنرال شارل ديغول، حتى زميله " جاك سوستيل " الذي أبدى امتعاضا و معارضة مصرحا: " إن أوروبيي الجزائر كانوا جزائريين منذ القدم، وإذا ما أخذت الجزائر استقلالها فإن فرنسا ... قادرة على حماية حياة و ممتلكات من يفضلون البقاء بما في ذلك حرية التصرف في طرق نقل البترول و الغاز من الصحراء " <sup>1</sup>

إذن، هي مسؤولية الحكومة الفرنسية في عدم معاقبة غلاة المستوطنين أو حتى بدون دعاية مضادة عما كانوا يصرحون به فالعنف الكلامي واللهجة الفاشستية والتطرف العنصري الذي كان يظهر في بلاغات المنظمات الفرنسية المختلفة سواء من " جبهة التحرير الفرنسية " إلى " لجنة قدماء المحاربين " <sup>2</sup>.

### خاتمة:

ان المناورات السياسية التي تبناها الجنرال شارل ديغول والتي من خلالها أراد تجسيد وإبقاء الجزائر فرنسية بما يخدم الكولون فتح المجال لانعكاسات خطيرة تمثلت في:

1- تنامي التطرف لدى الكولون الذين أزجعتهم سياسته الغامضة والغير المفهومة اتجاه الجزائر الفرنسية بتأليب صحافتهم للرأي العام داخل الجزائر la. l'echo d'oran. d'alger. (dépêche de constantine)

2- العمل السري داخل الإدارات والمؤسسات والجامعة أدى إلى تشكيل تيار مضاد (لجان الإنقاذ، جبهة الجزائر الفرنسية...) إلى ان نشأت المنظمة العسكرية السرية.

3- عمليات قتل و حرق وتدمير، اجرام يومي متواصل عبر كافة القطر الجزائري وبالخصوص حيث يكثر الأوروبيين بالأساس الجزائر ووهران.

4 - ثقاقله و إطالته في الوصول الى حل نهائي بشكل جدي إلا بعدما أن تعرضت فرنسا لخطر داهم بانقسام جيشها على إثر انقلاب 22 -25 أبريل 1961 و ما تعرض له ديغول نفسه من محاولات قتل.

سارع وتحت ظروف شتى الى جانب ما حققته الثورة الجزائرية من نجاح اجبرته بالدفع نحو مفاوضات جدية خلصت فرنسا من قضية هزت استقرارها وافلست اقتصادها وفككت مجتمعا.

1 - Oran Républicain , N° 7571 , Mercredi 9 Mars 1960 , p : 8

2 - المجاهد ، العدد 110 ، بتاريخ 11 ديسمبر 1961 ، ص : 6